

ظاهرة الجناس في خطب سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه

حافظ محمد ناظم*

عذرا پروين**

حافظ محمد سرور***

Abstract

This article narrates the knowledge of statement and some aspects of Hazrat Ali (R.A.) speeches. In this study, anaphylaxis one word for combine meanings: the term has been used many times Hazrat Ali's addresses, we have tried to elaborate so that can be understood easily.

This argument is based upon following points:

The meaning of address in native tongue/language accordingly

The significance of Hazrat Ali's addresses.

The social and native language values of anaphylaxis.

Apparently usage of anaphylaxis, which includes names of anaphylaxis complete anaphylaxis incomplete (increase/ declines), anaphylaxis rescheduled (changes) etc. lastly argumentative conclusion is explained.

Keywords: Anaphylaxis, Hazrat Ali (R.A), Addresses, Aspects.

المدخل:

الحمد لله دائماً العز والبقاء ، واهب الجود والعطاء ، الذي خلق الإنسان من العدم ، وعلمه ما لم يعلم ، وخصه بنعمة العقل ، أعظم النعم ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين ، سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، كما قال الله تعالى في كلامه المجيد والفرقان الحميد ، ”مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ“¹ ، وإمامهم ، من خصه الله بالدين الخاتم ، والكتاب الخاتم المعجز -

تعدّ الخطابة فناً قولياً عُرف منذ العصر الجاهلي ، وازدهر مع بزوغ فجر الإسلام ، فقد شهدت عصور الأدب العربي حضور الفن الخطابة ، جعله في مقدمة الفنون النثرية وكان لعصور الأدب العربي القديم حظ وافر من هذا الحضور ، والاهتمام ، فالعصر الراشدي الممتد من السنة الحادية عشرة للهجرة إلى السنة الأربعين ، شهد خطابة الخلفاء الراشدين الأربعة (أبو بكر ، و عمر ، وعثمان ، و علي) رضي الله عنهم ، وغيرهم من الخطباء والأموي -

إذ كانت الخطابة وسيلة لتوضيح سياسات خلفاء العصر الإسلامي ، لكونها سجلاً تاريخياً يكشف -

وقد ازدهر هذا الفن ازدهاراً رفيعاً في العصر الإسلامي ؛ لأنه حاجة دعت إليه ، فقد تحول الاهتمام إلى النثر بدل الشعر ، لأن طبيعة الدعوة ونشر هذا الدين الجديد تقتضي النثر لا الشعر ، فالعقيدة الجديدة فرضت واقعاً ديباً ، أفرز اهتماماً خاصاً بهذا اللون النثري الأدبي -

*باحث الدكتوراه باللغة العربية جامعة بهاء الدين زكريا ملتان -

**الاستاذة المشاركة باللغة العربية جامعة بهاء الدين زكريا ملتان -

*** الاستاذ المساعد بالقسم العربي ، جامعة بهاء الدين زكريا ملتان -

¹ الاحزاب: ٤٠

هذا البحث مشتمل على عدة مباحث:

- ١- مميزات الخطابة عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه
- ٢- الجناس في خطب سيدنا علي

تمهيد:

إنّ الملامح الفنية في خطب سيدنا علي رضي الله عنه والتي ليست مجرد ألفاظ خاوية وشعارات فارغة نابعة من أحاسيس فردية وحب الأنا ، بل تجلت الألفاظ بالصدق والعاطفة والجِدّ والشعور بالمسؤولية والمساواة والأخوة والمحبة والثورة ومقارعة الظلم والجهد في سبيل إعلاء كلمة الحق وحفظ الدين والإسلام ونبذ الدنيا والزهد فيها ، وغيرها من الجوانب التي تطرق لها في خطب علي رضي الله عنه ، وإضافة إلى الأساليب البلاغية التي جاءت انسيابية في الكلام بدون تكلف وصنعة -

تمتاز خطب سيدنا علي رضي الله عنه بعدة أمور:

١. نجد في عباراته الجزالة والقوة والوضوح ، فهناك انسجام في الكلم والعبارة والقطع فكل لفظ تحس به في مكانه الذي يجب أن يكون .
٢. نجد في موضوع الخطبة الوضوح والجلاء والسلامة والقرب والقوة ، وأيضاً تجد الابتكار والجدة والاتساع والشمولية والعمق والترتيب مستمداً معانيها من القرآن الكريم وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله .
٣. اتصفت خطب سيدنا علي رضي الله عنه بتساوي الفواصل على التوازن الإيقاعي والجرس الموسيقي ، ضرب آخر في التعبير السامع ويقربه إلى النوق .
٤. نجد في خاتمة كلامه خلاصة وافية لموضوع الخطبة وبكلمات قليلة .
٥. تمتاز الخطب في عرض الحجج الدامغة وإيراد القضايا المنطقية وانتهاج وسائل والإقناع واتباع في ذلك عليه السلام أساليب القرآن الكريم .
٦. استعان سيدنا علي رضي الله عنه بقليل من الشعر خلافاً للخطب التي ألفت في والتي كان فيها الخطباء يكثر من الشعر ، فقلل سيدنا علي رضي الله عنه من ذكر الشعر وأكثر من ذكر الآيات إحدى خصائصه الفنية في الخطابة .
- ٧- وضوح الهدف والغاية ، وأنّ بنا الوضوح مصحوب بالتسامي فلا إسفاف في أفكاره ولا غموض ولا تعقيد ولا مخاتلة ولا مواربة ، بل صراحة كاشفة مطلقة .
٨. خطبة متينة في تراكيبها محكمة في عباراتها .
٩. التكرار في اللفظ والمعنى للزيادة في التأكيد والحث والتأثير .
١٠. تمتاز خطب سيدنا علي رضي الله عنه في مخاطبة العقول والعواطف معاً فجاءت زخرة بالدليل والبرهان والاستقراء .
١١. استخدم الفنون البلاغية من المعاني والبيان والبديع ، وأكثر خصوصاً من المجاز والكناية والتشبيه والاستعارة والتمثيل للوصول بالمخاطب إلى الصور المحسوسة .
١٢. الميل إلى التطويل فقد كانت الخطبة قبل الإسلام قصيرة لا تتعدى بعض الجمل والعبارات ، وأنّ خطب علي رضي الله عنه تميل أغلبها إلى التطويل ، حيث كان يستعرض في الخطبة أفكاراً عميقة ويحاول الاستدلال عليها وردفها بأفكار مؤيدة تدعم الفكرة الأصلية ، وبذا يستدعي على في إطالة الخطبة .
١٣. الابتداء بالحمد والشهادة .

- ١٤ . فيها الكثير من الجدة والطرافة والألوان المتعددة للثقافة .
- ١٥ . قوة الحجّة والبراعة في سوق الدليل المفهم الملمز في غير إطالة ولا استطراد .
- ١٦ . البراعة في اختيار المفردات بحيث تنسجم من الناحية الصوتية فتجىء خفيفة على اللسان لذيدة الوقع في الأذان موافقة لحركات النفس مطابقة للعاطفة التي أزعجت أو الفكرة التي أملتّها ، وبذا الانسجام تحقق بائتلاف حروف الكلمات وتوافق أصواتها وحلاوة جرسها وملاءمتها لموضعها .
- ١٧ . كثرة الصيغ الانشائية من أمر ونهى واستفهام وترجى ونداء وقسم وتعجب؛ لأنها أقوى من الصيغ الخبرية تجديدًا لنشاط السامعين وأشدّ تنبيهًا وأكثر إيقاظًا، وبى أدق في تصوير مشاعر الخطيب؛ لأن أفكاره ومشاعره المتنوعة في حاجة إلى أساليب متغيرة تفصح عنها ثم إنّ الأساليب تستتبع مغايرة في نبرات الصوت وفي الوقفة والإشارة وطريقة الإلقاء وبذا كلّ عون على الوضوح من ناحية وعلى التأثير في السامعين من ناحية أخرى.
- ١٨ - تحفل خطب عليّ بسجع كثير يضيف إلى روعة التعبير وجودة الإلقاء وجلال الشخصية وسمو الفكرة نوعاً مستطاباً من الإيقاع الفني .
- ١٩ . المحاورة والوصف ، وبها من عناصر القصة فترى في خطبة دقة الوصف وبها ما نجده في وصف الطاووس والخفاش بحيث نرى في هذا الوصف كلّ التفاصيل الجسمية والحركة بأدق المستويات
- ٢٠ . نرى كلّ مقطع كأنّه مستقل عن الآخر ولكنه موصول بسابقه ولاحقه حيث تصب كلّ المقاطع في المركز للنص

ظاهرة الجنس في خطب سيدنا علي:

الجناس أحد فنون البديع الذي عرفته البلاغة العربية منذ عهد مبكر، منذ العصر الجاهلي، وكان يعرف بالذوق، ويتأق بالسليلة بعيداً عن التكلف، ثم ما لبث أن صار في العصور المتأخرة ظاهرة أسلوبية لها أهميتها في الدرس البلاغي. وفي الحق أن هذا الفن اختلف فيه علماء البلاغة بين من تحمس له، ومضى يمجده ويدعو إليه كالصفدي وأضرابه، وبين من بجنه وقبحه كابن حجة وأقرانه، وبينك رأي وسط يمثل الأثرية من علماء البلاغة الذين رأوا فيه محسناً لفظياً يحمل في تضاعيفه ألوان البراعة والافتنان ولا سيما إذا جاء منقاداً للمعنى، يأتي في الكلام عفواً، من غير كد، ولا استكراه، ولا بعد، ولا ميل إلى جانب الزكّة.

وإذا كان الجنس يؤلف - في مكوّن البناء مظهرًا من مظاهر الموسيقى الناجمة عن تجانس اللفظتين وانسجامهما معاً، فإنه يؤدي دلالة تعبيرية تسهم في تقرير المعنى في ذهن المتلقى وتجعله مقبلاً لديه، كما يشهد لصاحبه بتمكّنه من اللغة، والبصر بدقائق أسرارها، وقدرته على التصرف في معطياتها.

وتظهر عناية الأدباء - في العصور المتأخرة - بالجناس بما يتحقّق لديهم من دلالات وإيحاءات تسهم في خلق أصداً وأنغام إضافية تسعى إلى الاستحواذ على أجزاء النص الذي ترّد فيه، بما يمنح الفرصة في توليد موسيقى ظاهرية فيه تتجلى في هذه الألفاظ المكررة والموزونة، فضلاً عن القيمة الدلالية التي تكتسبها هذه الألفاظ. إنهم يحتذون الجنس ويؤثرون؛ ولشدة ولوعهم به جاء نتائجهم مثقلاً به، إمعاناً منهم بالتكلف والتعقّل، وإسرافاً بالصنعة، ونجد هذا الإسراف كبيراً في الصياغة اللفظية فأفسد البلاغة وطوى بهجتها، وأغاض ماء رونقها.

وعلى الرغم من اختلاف وجهة النظر في الجنس إلا أنه حظى بشيء من اهتمام الباحثين قديماً وحديثاً، وصنفوا فيه بعض المصنفات، وبو دليل واضح على أهمية الجنس ومكانته السامية في الأدب العربي شعراً ونثراً، ومن أشهر من صنف فيه، الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) وكتابه (أجناس التجنيس)، والصفدي وكتابه (جنان التجنيس)، وشمس الدين النواجي (ت ٨٥٩هـ) وكتابه (الدرّ النفيس فيما زاد على جنان الجنس وأجناس التجنيس) والسيوطي (٩١١هـ) وكتابه (جنى الجنس)، وفي العصر الحديث الدكتور على الجندی وكتابه (فن الجنس)، وغير ذلك.

وقد جاءت هذه الدراسة تتمه لما سبق، بل بى محاولة جادة للوقوف على أحد أساليب البلاغة العربية، واستجلاء خصائص هذا الفن وسناته على المستويين: المستوى الصوقي والمستوى الدلالي؛ لإبراز القيمة الفنية والجمالية لهذا الفن من خلال دراسة بنيتة دراسة بلاغية، وكانت خطب سيدنا على بن أبى طالب مادة تطبيقية لهذا الفن.

الجناس في خطب على بن أبى طالب رضى الله عنه:

ورد الجناس في موضع متفرقة من خطب سيدنا على رضى الله عنه وبهو لا يقل شأنًا عن غيره من فنون البديع، متأً من الطبع السليم، والفتوة النقية التي تستجيب لمقتضى الحال، فالكلمات طوع إرادته، تجرى على لسانه منقاداً للمعنى الذى يريد في يسر وسهولة، من غير قصد أو تكلف، فهو لا يتقصد لفظة للفتة أو معنى لمعنى، وإنما يتقصد فصاحة الكلام وجزالته، وبسط المعنى وإبرازه، وتلاحم الكلام بعضه ببعض، بما يتم عن ذوق صحيح، وذهن ثاقب، وقرينة مطاوعة. والجناس الذى ورد في خطب سيدنا على كثير، ولكن نكتفى بذكر على ستة أنواع منه، بى: الجناس التام، والجناس الناقص، وجناس التصحيف، وجناس التحريف، وجناس المضارع، وجناس المقلوب، وأول ما نبداً به هو:

١- الجناس التام:

ويراد به "أن يتشابه اللفظان نطقاً، ويختلفان معنى"²، ويسميه القاضى الجرجاني (المستوفى) لأن حروف كل واحد منها مستوفاة في الآخر.³

ومعناه أن يحىء المتكلم بكلمتين متفقتين لفظاً، مختلفتين معنى، أى لا تفاوت في تركيبها⁴، ولا اختلاف في حركتها، واتفاق الكلمتين يكون بنوع الأحرف ووزنها وعددها وترتيبها، وبذا هو الذى يفرقه عن التكرار، والتوكيد اللفظي؛ ذلك إن الجناس التام - كما ذكرنا تماثل اللفظ، واختلاف المعنى، في حين أن التوكيد وإن كان لفظ واحد فقد اتحد معناه، ثم إن شرط الاتصال، وأن لا يزداد على ثلاثه، والتكرار يخالفه في الأمرين⁵ فضلاً عن أن التوكيد يقرر المعنى الأول، بينما التكرار يؤسس معنى فيه من القوة في الدلالة ما ليس في التوكيد.⁶

ومن خلال النظر في المكون البنائي للجناس التام نجد أنه يؤدي دلالتين، الأولى حقيقية، والثانية مجازية. وبذا يعنى أن المتلقى يفهم من كل لفظة مع قرينتها، ما لا يفهم من الثانية مع قرينتها. ومن أمثلة هذا النوع، قول على رضى الله عنه واستقرؤوا الأجل، فبادرؤوا العمل، وكذبوا الأمل فلا حظوا الأجل.⁷

لقد جانس على بين لفظة (الأجل) الأولى التي تعنى الوقت، ولفظة الأجل الثانية الموت. وقد اتفق اللفظان فيه بنوع الأحرف ووزنها وعددها وترتيبها، والفرق واضح في دلالة اللفظ على المعنى، لقد جاء اللفظان متوافقين في المستوى الشكلي والمستوى الدلالي للنص.

² شرف الدين حسين بن محمد الطيبي، التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، (عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٢)، ٤٨٠

³ للقاضى على بن عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٦٦هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الوساطة بين المتنبي وخصومه، (بيروت: المكتبة

العصرية)، ٤٦

⁴ شهاب الدين أبى الشفاء محمود بن سليمان الحلبي (ت ٧٥٣هـ)، حسن التوسل، (بصر: المكتبة الوهبيية، ١٢٩٨هـ)، ١٨٤-١٨٣

⁵ مادة (كر): محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي (ت ١٧٩٠)، تاج العروس من جواهر القاموس، (بيروت: دار إحياء التراث

العربي، ١٩٨٤)، ١٤: ٢٧

⁶ أبو عبدالله بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشى (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، (بيروت: مكتبة دار التراث طبعة جديدة)، ٣: ١١

⁷ لابن أبى الحديد بنية الله بن عبد الحميد المدائني (ت ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المركز الثقافي

البناني)، ٧: ٢٤١

ومن صور الجناس التام التي وردت في كلام عليّ قوله في وصف الدنيا: وإنما الدنيا منتهى بصر الأعْمى لا يبصر مما وراءها شيئاً، والبصير ينفذها بصره ويعلم أن الدار وراءها، فالبصير منها شاخص، والأعْمى إليها شاخص، والبصير منها متزوّد، والأعْمى لها متزوّد.⁸

تمثل الجناس في النص المذكور بلفظة (شاخص) وقد جاءت مكررة مرتين في الأول جاء ت بمعنى الراحل الذي يشخص للسفر، وبى مجانسة للفظ الثانية التي جاءت بمعنى من شخص بصره بالفتح إذا فتح عينه نحو الشيء مقابلاً له، وجعل لا يطرف، وقد عدّه ابن أبي الحديد من مستحسن التجنيس.

كما جانس في لفظة (متزوّد) وبو الراحل عن الدنيا، أما الثانية فهي بمعنى الراحل، ولا يخفى على المتأمل لهذا الجناس أن يتحسّس لذته وتأثيره؛ لأن هذا التجانس بين اللفظتين يعمل على إثراء النص بالموسيقى من حيث توافق نغمه، وانسجام جرسه، فيمتزج بالذات نغمه وصداه؛ وإذا كان هذا الجناس من جهة الإيقاع يهبّ اللفظتين قيمة صوتية من حيث تكرارهما، فإن له قيمة دلالية تتمثل في الفرق بين اللفظتين من حيث المعنى، ومثل هذا التجانس يحمل ما لا يخفى على أبل الذوق السليم من دلالة معبرة تبعث على التأمل والتفكير في المعنى الذي يرمي إليه على رضى الله عنه.

أما بخصوص قوله وقد عزم على المسير إلى الخوارج فقال له بعض أصحابه: إن سرت يا أمير المؤمنين في هذا الوقت خشيت أن لا تطفر بمراذك أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه، وتخوف من الساعة التي من سار فيها حاق به الضرّ، فهذا ليس بتجنيس أصلاً؛ لأن الساعة في الموضعين بمعنى واحد.

٢- الجناس الناقص:

ويسمى بالمتخلف، وبو اتفاق حروف الكلمتين إلا أنه يخالف إما في هيئة الحركة، أو بالحركة والسكون⁹ ومعناه أن اللفظين يختلفان في الحروف عدداً وبهيئة وترتيباً.

ونستطيع أن نتلمس صور هذا الجناس، ومن ذلك قوله رضى الله عنه ، ثُمَّ مَنَحَ قَلْبًا حَافِظًا، وَلَيْسَانًا لَا فِطْظًا، وَيَصَرًّا لَا حِطْظًا، لِيُفْهَمَ مُعْتَبَرًا.

وقوله رضى الله عنه اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي زَمَزَاتِ الْأَلْحَاطِ، وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَاطِ، فالجناس الناقص وقع بين لفظي (الألحاط والألفاظ) باختلاف الحرفين الوسيطين.

ولا ريب إن مثل هذه التغيرات الصوتية التي تجرى على اللفظين المتجانسين ستحدث عمقاً إيقاعياً موحياً، تجعل النص أحسن وقعا في السمع، وأكثر تأثيراً في النفس.

٣ - الجناس التصحييف:

وفي قوله رضى الله عنه من خطبة له: "وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّقَاءُ النَّافِعُ، وَالرَّيُّ النَّافِعُ"¹⁰

"المرء يسعى بجده، والسيوف يقطع بجده"، وقع جناس التصحييف بين لفظي (بجده) و (بجده) وقد تشابهوا في شكل الحرف، وتباينا في وضع النقط.

⁸ شهاب الدين أبي الثناء محمود بن سليمان الحلبي (ت ٧٥٣هـ)، حسن التوسل، (بصر: المكتبة الوهبة، ١٢٩٨هـ)، ١٨٧

⁹ لابن أبي الحديد بنية الله بن عبد الحميد المدائني (ت ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المركز الثقافي

الليثاني)، ٦: ١٤٢

¹⁰ لابن أبي الحديد بنية الله بن عبد الحميد المدائني (ت ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المركز الثقافي

الليثاني)، ٦: ١٤٢

² المرجع السابق، ٦: ١٤٢

وقوله رضى الله عنه: **أَيَقْطُلُوا بِهَا يَوْمَكُمْ، وَأَقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ**¹¹.
فقد تشابه اللفظان (يومكم) و (يومكم) في شكل الحرف، ولكنها اختلفا في وضع النقط، وكان الاختلاف
اختلاف في نوع الحرف فالأول النون، والثاني الياء، ولم يختلف اللفظان من حيث الوزن الذي يُهَيَّءُ للنص جَوْاً موسيقياً
يتولّد من بذين اللفظين المتجانسين اللذين ينسجان مع الطبع والذوق، وبالتالي فهما يسهّان في خلق أصدا وأنغام إضافية.

٣- الجناس التحريف:

ويقصد به (ما اتفق ركناه في أعداد الحروف وترتيبها، واختلفا في الحركات سواء أكانا من اسمين أو من فعليين أو
من اسم وفعل، أو من غير ذلك)¹² وبذا يعنى: تشابه اللفظين المتجانسين في رسم الحروف واختلافها في تشكيلها.¹³
وفي قوله رضى الله عنه من خطبة له فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحَزْزِ وَالْجَنَّةِ، وَفِي عَذِ الطَّرِيقِ إِلَى الْجَنَّةِ.
ولا يخفى ما ييوح به هذا النص من جناسات محرّفة، فقد جانس على رضى الله عنه بين لفظ (الجنة) بضم الجيم وبى ما
يتقى به من درع وغيره، ولفظ (الجنة) بفتح الجيم التي بى من النعيم، وقد وقع تشابه تام في رسم الحرف، ولكن نوع
الحركات في اللفظين هو موضع الاختلاف، وبذا التجانس يحمل من الانسجام، وجمال التنعيم، ما لا يخفى وقعه اللطيف،
وتلاحق تأثيره في النفس والمعنى.

٥- الجناس المقلوب:

ويسمى جناس العكس، وهو أن تكون الكلمة عكس الأخرى¹⁴ أو (هو ما تساوت حروف ركنيه عدداً،
وتخالفت ترتيباً وبذا يعنى (أن تعكس الكلام فتجعل الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول)¹⁵ ومن شواهد هذا النوع
قوله (رضى الله عنه) (أما بعد فإن المر قد يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدرك).¹⁶
وقوله (اتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةً مِنْ شَمَرِ تَجَرِيدَا، وَجَدَّ تَشْمِيرَا)¹⁷

ولا يخفى على من يمعن النظر في هذه النصوص التي برز فيها الجناس المقلوب واضحاً أن يجد على قد استعان
بهذا النوع؛ لإيصال المعنى إلى ذهن المتلقى بسهولة ويسر، وقد ظهرت من خلال دلالات هذا التقليل، وعبر هذا النغم
الإيقاعي الموحى المنتظم الذي يتولّد من توالى الألفاظ المتجانسة فيما بينها.

٦- الجناس المضارع:

هو الإتيان بكلمتين متشابهتين خطأ لا لفظاً إلا في اتحاد الكتابة، ثم لا يخلو من أن تتقارب فيه الحروف باعتبار
مخارجها^(١٨)، ولا شك أن في تقارب مخارج الحروف بين الألفاظ المتجانسة يعنى إضفاء مزيد من النغم الصوتي، لأن في

¹² أبى الفضل جلال الدين عبدالرحمن أبى بكر السيوطى (ت ٩١١هـ) ج. معترك الأقران في إيجاز القرآن، (بيروت، لبنان: ضبط و صحه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية)، ٢٥٦: ١.

¹³ لابن أبى الحديد بيه الله بن عبد الحميد المدائنى (ت ٦٥٦هـ)، شرح هج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المركز الثقافى اللبنانى)، ٨٤: ٢.

¹⁴ أبو العباس عبدالله ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ)، البديع في البديع، حققه - عرفان مطرجى، (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠١٢)، ٥٤.

¹⁵ أبى هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ٢٦٠.

¹⁶ لابن أبى الحديد بيه الله بن عبد الحميد المدائنى (ت ٦٥٦هـ)، شرح هج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المركز الثقافى اللبنانى)، ١٠٩: ١٥.

¹⁷ المرجع السابق، ٣٥٢: ١.

¹⁸ شهاب الدين أبى الشاء محمود بن سليمان الحلبي (ت ٧٥٣هـ)، حسن التوسل، (بمصر: المكتبة الوهبية، ١٢٩٨هـ)، ١٩٥.

تشابهاً للتجنيس التام الذي يتكرر فيه جرس اللفظ ذاته¹⁹ على نحو ما جاء في كلامه رضي الله عنه كل شيء يعز حين ينزر، والعلم يعز حين يغزر- ففي هذا النص نجد تشابهاً في مخرج الصوت للحرفين النون والغين لأنها من حروف الحلق، ولتقاربها في النطق في لفظي (ينزر)، و(يغزر) فقد زاد في قوة الجرس، وشدة وقع على النفس، وتأثيره في المعنى. وقوله من خطبة له: وإنا حظاً أحكم من الأرض ذات الطول والعرض²⁰ هما بين لفظي (الأرض) و (العرض) تشابه في مخرج صوت الحرفين (الهمزة والعين) فكلاهما من حرف الحلق (ويبدو واضحاً قوة انشداد هذا الجرس إلى مضمونه؛ لأن الكلمات وقعت بانسياب في حياض معانيها، ولم يلبث وراءها المعنى، فهذا الإطناب في عبارة ذات الطول والعرض لم يؤت به لأجل تجنيسه بما قبله، بل لبيان عاقبة الإنسان ومآله في هذه الأرض العريضة، ولعل من الواضح بمكان فساد المعنى وإخلاله لو حذفت هذه العبارة من نص-²¹

٧- الجناس الاشتقاق:

وهو أن تحيىء بالفاظ يجمعها أصل واحد في اللغة²² وبذا أكثر أنواع الجناس وروداً في كلام علي بن أبي طالب، ومن ذلك قوله من كتاب بعثه إلى أهل البصرة: واعلموا أن دار الهجرة قلعت بأهلها وقلعوا بها، وجاشت جيش المرحل، وقامت الفتنة على القطب-

وقوله: دعوتكم إلى نصر إخوانكم فخرجتم جرجرة الجمل الأسر، وتناقلتم تناقل النضر الأدبر وقوله: فإذا جاء القتال قلتم: حيدى حياذ.

ويبدو لمن تأمل هذه النصوص أن الإمام أورد جملة من الاشتقاقات، وبى مشتقة من حروف الجنس؛ لأن كل لفظين من الألفاظ المتجانسة بها من أصل واحد، وبى القلع، الجيش، الجرجرة، الحياذ، وبذا التجانس يزيد من تكثيف موسيقى النص، كما يخلق نوعاً من الانسجام بين موسيقى اللفظتين ومعانيها، مما يجعله أحسن وقعا في السمع، وأكثر علوقاً في الذهن.

وهكذا لو عرضنا نصوصاً أخرى من خطب علي رضي الله عنه، ولكن نكتفي بما أوردناه من النماذج وهي قل من كثر لتكون مثلاً واضحاً على أنماط الجناس الباقية في خطبه-

خلاصة البحث:

بعد... فيها نحن قد وصلنا إلى نهاية الرحلة الممتعة الشاقة مع الخليفة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد رافقناه متنقلين معه من مسجد إلى مسجد، وإلى أي منبر أو ربوة ارتقاها ليمتدح أسامعنا بأعذب كلمات الوعظ، بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى مستخدماً في ذلك أساس الأساليب وبسطها أكثرها تأثيراً في النفس البشرية ليؤثر فيها، لعلها تلتزم بأوامر الله سبحانه وتعالى وتتجنب معاصيه، فهو يعرض الترغيب ويرشد المسلمين إلى أدواته لتتأهل أعمالهم رضا الله ومن ثم الحصول على ثواب الآخرة المتمثل بالجنة، فأن لم ترعو النفس مالت إلى الترهيب من خلال تخويفها من

¹⁹ عباس على حسين الفحام، الأثر القرآني في نهج البلاغة، النجف الاشرف عاصمة الثقافة الإسلامية، ٣٢٢

²⁰ لابن أبي الحديد بنية الله بن عبد الحميد المدائني (ت ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المركز الثقافي اللبناني)، ٦: ٢٢٠

²¹ احصى ابن البديع فنون البديع وجعلها ثمانية عشر فناً محسناً وجعلها ابن أبي الاصبع (مئة واثنين وعشرين) محسناً في كتابه التحجير. ينظر البديع طبعه كراتشكوفسكي لندن ٩٣٥ وينظر تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر.

²² لابن أبي الحديد بنية الله بن عبد الحميد المدائني (ت ٦٥٦هـ)، نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: المركز الثقافي اللبناني)، ١: ٧١-٧٢

عقاب الله اذ يعرض لنا صورا من عقوبات الضالين الخارجين عن ارادة الله سبحانه وتعالى وما آل اليه مصيرهم في نار الخلد، وفي الوقت نفسه مؤكداً ان الدنيا هي دار العمل، ولا عمل الا فيها. وما عليهم الا اغتنام فرصة العمر القصيرة بصالح الاعمال، وان ابرز ما تمحورت به خطب، فهي تلتقي بمحاور عدة، فكان المحور الاول: هو ذم الدنيا فهي دار اختبار وبلاء تتصف بخسيتها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها، اما المحور الاخر فهو يصف الدنيا على انها رحمة ونعمة سخرها الله سبحانه وتعالى لعباده من واما المحور الآخر: فنجد هنالك خطب تبتداء بالحمد لله سبحانه وتعالى والثناء كما في قوله رضى الله عنه (الحمد لله غير مقنوط من رحمته) بينما نجد في خطب اخرى تبتداء بالنداء أي الطلب كما في قوله عليه السلام (أفتنت بها ثم تدمها ...) وايضا" في (يادنيا يادنيا اليك عني ...) خفا" كان علي بن ابي طالب رضى الله عنه سيد الفصحاء والبلغاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فالى الآن يمكن للمتبحر في خطبه ان يسمع صوته صادحا عبر التاريخ، فهو لم يبدأ، بل ظل طوال حياته الشريفة يعظ المسلمين ارضاء" لله بصفته خليفة المسلمين وارضاء" لنفسه ودينه انطلاقا من قول رسول الله محمد صلى الله عليه وآله (الَّذِينَ النَّصِيحَةُ) -

تتناول هذه التراسة الخطب عند على رضى الله عنه، ودراستها دراسة بلاغية أسلوبية، من خلال تحليلها ودراستها من حيث التناس في الخطبة وأنوعه، ومن حيث البديع وظاهرة الجناس، وغيرها من الأساليب التي انتهجها على رضى الله عنه في خطبة-

النتائج والتوصيات:

لعل أبرز ما في هذا الجهد، محاولة تقديم دراسة أسلوبية للغة الخطابة عند علي بن ابي طالب رضى الله عنه تمحورت في دراسة النص و بعض ما فيه من أساليب لغوية وبلاغية، وخرجت بهذه النتائج الآتية:

- تمتاز تلك الخطب بمتانة التركيب والجناس، وهي وإن كانت قصيرة الجملة، الا انها كانت واسعة في معانيها، وشاملة في مفاهيمها وصائب في دلالاتها.
- جزالة الالفاظ وفخامتها، ووضوح المعاني في تراكيبيها، أي ان المعاني وردت على قدر الالفاظ دون زيادة او نقصان، وهذه صفة من صفات كمال البلاغة.
- بينت الدراسة تعدد الظواهر الأسلوبية وتنوعها، وانتشار هذه الظواهر في خطب سيدنا على رضى الله عنه.
- أكدت التراسة أن الخطابة فن قديم من فنون الكلام والتعبير يقصد به التأثير على الشعوب في شتى الأغراض الدينية، والاجتماعية والسياسية والإقتصادية-
- تميّزت خطب علي بن ابي طالب رضى الله عنه بالصراحة التي لا تعرف المجاملة على حساب الحق والشجاعة النادرة التي فاق بها من عاش في عصره-
- أظهرت التراسة أن النص الخطابي نص إبداعي لا يقل مكانة عن النصوص الإبداعية الأخرى، بما يجويه من لغة فنية، وصياغة أدبية محكمة، واستخدام للأساليب البلاغية المختلفة-